

الوظيفة الاجتماعية في الإخراج المسرحي الجزائري.

مسرحية "بكالوريا" ل عز الدين عبار انموذجا.

The social function in Algerian theatrical direction.

The play "Baccalaureate" by Ezz El-Din Abbar as a model

حاكم فاطيمة زهرة ^{1*}، صالح بوشعور محمد أمين ²

¹ جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان ، الجزائر fatimazohra.hakem@univ-tlemcen.dz

مذ بر الفنون و الدراسات الثقافية / جامعة أبي بكر بلقايد.

² جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان ، الجزائر mohammedamine.salahbouchaour@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/04/24

تاريخ الاستلام: 2025/03/01

ملخص:

تناول هذا المقال الإخراج المسرحي كتقنية و اشتغال على النص نحو العرض عن طريق آليات و عناصر أساسية تتبناها تيارات و اتجاهات إخراجية مختلفة، و كذلك الإخراج المسرحي الجزائري الذي تمكن من مواكبة المعايير الإخراجية العالمية بعروض مسرحية مهمة ، و من خلال دراسة مسرحية "بكالوريا" ل "عز الدين عبار" حاولنا معرفة الوظيفة الاجتماعية للإخراج المسرحي الجزائري فتناولنا كل عنصر إخراجي كآلية إخراجية مستقلة .

فخلص هذا المقال إلى أن المخرج وظف كل عنصر إخراجي اجتماعيا و ساهمت هذه العناصر بعد تكاملها في خدمة موضوع العرض الذي تناول عدة قضايا تهم الفرد و المجتمع.

الكلمات مفتاحية: الوظيفة الاجتماعية ، الإخراج المسرحي، الإخراج المسرحي الجزائري ، مسرحية بكالوريا، عز الدين عبار .

Abstract:

This article discusses theatrical direction as a technique and work on the text towards presentation through mechanisms and basic elements adopted by different directing trends and directions, as well as Algerian theatrical direction, which was able to keep pace with international directing standards with important theatrical performances, Through studying the play "Baccalaureate" by Ezzedine Abbar, we tried to know the social function of Algerian theatrical directing, so we dealt with each directorial element as an independent directorial mechanism.

This article concluded that the director employed every directorial element socially, and these elements, after their integration, contributed to serving the theme of the show, which addressed several issues of concern to the individual and society.

Keywords: Social function; theatrical direction; Algerian theatrical direction; baccalaureate play, Ezzedine Abbar.

1. مقدمة:

يعتبر المسرح من اعرق الفنون عبر الزمن و التاريخ، و هو رمز حضاري للمجتمعات باختلاف أرائهم و معتقداتهم. تغير هذا الفن و تطور في أشكاله و مضامينه و تركيبته لكنه منذ بداياته لا يزال مرتبطا ارتباطا متينا بالمجتمع و قضاياها و أحداثه السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية خصوصا.

ظهر المسرح في الجزائر كغيرها من البلدان العربية حديثا، لكن رغم التباعد الزمني عن دول الغرب التي طورت هذا الفن و أدرجته كضرورة لتقدم شعوبها و حضاراتها، وكذلك رغم كثرة مدارسه و اتجاهاته و تياراته على مستوى النصوص و العروض، إلا أن حاجة الفن الجزائري للتعبير عن قضاياها و مشاكله و الدفاع عن هويته كان اكبر دافع لنشأة وممارسة المسرح بعد الاستقلال.

عمل رواد هذا الفن على النهوض بالمسرح في فترة الخمسينات و الستينات خاصة من اجل تدويل القضية الجزائرية عالميا، و برز المسرح في هذه المرحلة كسلاح فني فعال شارك بدوره في الثورة الجزائرية، ثم حاول المسرحيون الجزائريون بعد الاستقلال النهوض بهذا الفن و تطويره بمسارح جهوية و تكوين و تشجيع هذا التخصص.

حاول المخرج الجزائري منذ البدايات الانفتاح على تيارات الإخراج المختلفة، ومواكبة المعايير العالمية في أعماله، ثم انتقل البعض إلى البحث عن شكل مسرحي أصيل بالتجريب في العروض المسرحية المعاصرة، وذلك من خلال محاولة عدم الالتزام بتقنيات العرض العالمية و اللجوء إلى كل ما هو خاص بالمجتمع الجزائري في العملية الإخراجية من موسيقى و أغاني ، ديكور، ملابس.....الخ.

من خلال ما سبق، تظهر للأفق إشكالية هذا المقال حول:

كيف جسد المخرج الجزائري الواقع الاجتماعي في عروضه؟ و ما الدور والوظيفة

الاجتماعية التي انفرد بها في عملياته الإخراجية ؟

سنحاول من خلال هذا المقال، أن نكشف عن طريق دراسة عرض " بكالوريا " ل
"عز الدين عبار" لكيفية تجسيد المخرج للواقع الاجتماعي و ما الوظيفة الاجتماعية التي
قام بها في تقنيات إخراج العرض، و ما المرجعيات الاجتماعية التي اعتمدها و كيف وظفها
في هذا العرض .

2. الإخراج المسرحي:

تتعدد مفاهيم الإخراج من معجم إلى آخر ومن مختص في مجال المسرح إلى آخر،
فمنها المتطابقة والمتشابهة في المعنى ، بينما تختلف أخرى و تتجدد بتجدد التيارات
والاتجاهات و المدارس الاخراجية. فنجد في المعجم المسرحي أن العملية الاخراجية تبلورت
كوظيفة مستقلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر..... و هي تنظيم مجمل مكونات
العرض من ديكور و موسيقى وإضاءة .. الخ.¹

كما نجد أن عملية الإخراج هي "عملية تجسيد الكلمة المكتوبة بمساعدة العناصر
البصرية المرئية و الصوتية المسموعة و الحركية المحسوسة"².

و منه فالعملية الاخراجية حديثة كمصطلح في اللغة العربية، لكنها كعمل في
المسرح قديمة قدم هذا الفن ، فقد كان المؤلف ممثلا ومغنيا في الجوقة و مخرجا في نفس
الوقت ، و تطور مع الزمن و العصور من العصر الإغريقي (المؤلف المخرج) مروراً
بالعصور الوسطى و العصر الالزبيني وصولاً إلى العصر الحديث أين أصبح المخرج
متخصصاً وتعددت تسمياته و أنواعه من: متفاوض ، ديكتاتور، مبدع ، مشرف ، أو
مقارن .

ويبرز احد المخرجين أهم صفات المخرج فيما يلي " إذا كان الفصل المدرسي يحتاج إلى
معلم و السفينة إلى ربان و الفرقة الموسيقية إلى قائد، فإن المخرج المسرحي يجب أن يكون
هؤلاء جميعاً"³، ومنه يمكن اعتبار المخرج في المرتبة الثالثة بعد النص الجيد و المكان
الملائم للعرض فالمخرج هو ذلك المبدع المتميز أكاديمياً و معرفياً و سيكولوجياً، الذي يقوم

بعد ذلك على اختيار الممثلين و تجميع فريق الإنتاج و التصميم و التدريبات لضمان عرض متكامل يرقى لمستوى و تطلعات المشاهد.

1.2 الإخراج المسرحي في الجزائر:

تؤكد الدراسات الأكاديمية الحديثة أن الفن المسرحي في الجزائر عرف فعليا في القرن التاسع عشر بعد الزيارات التي قامت بها فرق مسرحية عربية للجزائر أثرت على مجموعة من الفنانين و المتقنين الجزائريين و حبيبهم في هذا الفن ، فبرزت جمعيات و فرق مسرحية كثيرة يذكرها الباحث **صالح بك مجيد** قائلا أن " المسرح الجزائري استطاع أن يقدم أول عرض مسرحي من خلال مسرحية **في سبيل الوطن**، حيث كان عرضها في يوم 22 ديسمبر 1922" ⁴ أخرجها محمد رضا المنصالي، و يعتبر هذا الميلاد الأول للمسرح والإخراج في الجزائر، لان المحاولات التي سبقتها لم تكن كاملة من حيث الكتابة ثم الإخراج والعرض، فبقيت مجرد اجتهدات هدفها التجريب و التأصيل لفن جزائري.

ثم ظهر مجموعة من الشباب المسرحيين : **رشيد قسنطيني** (1887-1944) ،

علالو (1902-1992) و **محي الدين بشطرزي** (1897-1986) الذين اعتمدوا مسرحا

شعبيا بالارتجال و السكاتشات الفكاهية يتوافق مع الجمهور في تلك الفترة مثلما صرح **بشطرزي** سنة 1985 لصحيفة الشعب " لم يكن هناك جو فني بآتم معنى الكلمة، بل انتشرت الحفلات الشعبية المقامة في المناسبات، و التي كانت تقدم خلال فواصلها بعض السكاتشات الفكاهية القصيرة " ⁵ . قام هؤلاء الشباب بالتأليف و الإخراج الجماعي لأعمالهم رغم عدم وضوح الاتجاه و الأسس الاخراجية إلا أنهم أبدعوا فوق خشبة المسرح .

كما ظهرت بعد ذلك أعمال كثيرة مزجت بين المسرح العالمي و المحلي كمسرحية

"عطيل" ل " شكسبير" أعدها **احمد توفيق المدني** ، و أعمال مسرحية أخرى ساعدت

الحركة الوطنية في دعوتها للإصلاح السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي " لقد ظل

المسرح الجزائري و خاصة بعد حوادث 08 ماي 1945م ، يبحث عن موقع جديد له، و لقد

أثرت فيه تلك الأحداث أيما تأثير، كما استفاد من تأهيل المسرح خلال البدايات الأولى له،

مؤسسا ما عرف لاحقا بالمسرح السياسي" ⁶ . فقد واكب في موضوعاته الثورة منذ بدايتها

واتسمت هذه الفترة بالعزوف عن المواضيع الهزلية ، و أصبحت الثورة المحور الأساسي للكتاب و المخرجين المسرحيين⁷.

ثم واكب الإخراج المسرحي في الجزائر بعد الاستقلال التيارات و الاتجاهات الاخراجية الحديثة و المختلفة خاصة بعد تأميم المسرح الجزائري إلى مؤسسة عمومية " وذلك بمقتضى المرسوم 83/10 المؤرخ بتاريخ 07 جانفي 1963"⁸ ، ثم بدأت مرحلة من التطور و الازدهار في الإنتاج المسرحي كما و كيفا عالج من خلالها هذا الفن قضايا اجتماعية و سياسية عديدة ، و من أشهر مخرجيها كاتب ياسين، ولد عبد الرحمان كافي، علولة و آخرون.

و لا تزال الأعمال المسرحية و المخرجين في الجزائر تسعى جاهدة بالتجريب و محاولة التأصيل تطوير هذا الفن الذي يعبر عن الرأي و يحاكي القضايا و الهموم.

2.2 الوظيفة الاجتماعية للإخراج المسرحي:

الإخراج المسرحي هو أهم عملية في الفن المسرحي حيث يعتبر همزة وصل بين النص و العرض، ولولا الإخراج لبقيت المسرحية حبيسة الأوراق و الحروف، و تتجلى أهمية الإخراج خصوصا و المسرح عموما في وظائفه المختلفة و المتنوعة من خلال علاقته القديمة بالمجتمع و قضاياها منذ العصر الإغريقي و الفرعوني و غيرهم.. فهو " يعكس علاقة نوعية - في نقل علاقة جمالية - بين الإنسان و عالمه الطبيعي و الاجتماعي. أي أن الفن هو صياغة للعلاقة بين الإنسان وواقعه بالمعنى الشامل"⁹.

للإخراج المسرحي وظيفة اجتماعية كأي عملية فنية أو أدبية تأخذ فكرتها من المجتمع كمرآة تعكس الواقع المعاش و تعيد عرضه بطريقة فنية وواعية للجمهور المتلقي " لذا فالعمليات الأدبية هي عمليات اجتماعية في مفهومها و وسيلتها، أو في موضوعها أوفي

جوهرها الذي عبارة عن محاولة يبذلها الأفراد المتميزون ، و ذوي القدرات الخاصة من اجل فهم عالمهم الاجتماعي¹⁰.

فمنذ لحظة المكاشفة الأولى حدد أرسطو الوظيفة الاجتماعية للتراجيديا في أنها "تثير الشفقة و الخوف مما يؤدي إلى التطهير"¹¹ ، أي إثارة إحساس المشاهد بالخوف والرعب من الوقوع فيما وقع فيه البطل من العقاب و شعوره بالارتياح و هي نزعة تغييرية اجتماعية بحتة.

بما أن الوظيفة الاجتماعية للمسرح هي المزاجية بين الشكل و المضمون، فإن أكثر شخص أو فنان في الفن المسرحي يقوم على المزاجية بين الشكل و المضمون هو المخرج المسرحي بحيث هو "يتمتع بقدر كبير من المعرفة و سعة الاطلاع حتى يستطيع تفهم النص و من ثم هيمنته على الخطوط الخفية التي يتحرك بها الأبطال"¹² .

فبالرغم من ظهور فن الإخراج في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، إلا أن هذه الوظيفة قديمة قدم هذا الفن منذ عصر الإغريق ، وهو يقوم على إعداد عناصر العمل المسرحي من ممثلين، فريق إنتاج ، و يسعى إلى ضمان الاتصال الجيد لجميع الأجزاء المتحركة فوق الخشبة أثناء العرض الذي يطرح من خلاله مواضيع لفئة مستهدفة من المجتمع قصد النقاش أو التحليل أو التغيير.... و بهذا فالوظيفة الاجتماعية في الإخراج المسرحي واضحة جليا منذ اختيار النص الملائم الذي يسلط الضوء على الواقع المعاش ، ثم اختيار عدد من الممثلين و التقنيين و الإشراف عليهم بخلق جو اجتماعي مناسب لضمان اتصال جيد بينهم و قيادة التدريبات لإنجاح العمل الجماعي الإبداعي ، و سهر المخرج على التشكيل السمعي و البصري من ديكور و ملابس و إكسسوارات وموسيقى وإضاءة تخدم العرض المسرحي و الجمهور المستهدف.

ومن جهة أخرى يقوم المخرج بوظيفة اجتماعية هامة و هي استهداف متلقي وجمهور معين ودراسة وقت تقديم العرض و مكانه. وهذا ما أشار إليه د. محمد عبد الله حسين قائلا "إن المسرح فن جماعي إبداعا و إنتاجا و تلقيا"¹³.

3. مسرحية "بكالوريا" ل "عز الدين عبار":

1.3 ملخص المسرحية:

تتناول هذه المسرحية قصة لطلبة يحضرون لاجتياز شهادة البكالوريا من خلال دروس خصوصية عند الأستاذة "حورية" في قبو لفنان مسرحي "أمين" حالته جد مزرية بسبب عدم نجاحه في مشواره الفني، و لم يستطع بسبب هذه الحالة المعيشية الزواج من "حورية" التي تقاسمه القبو لدروس الدعم . يتواجد هذا القبو بالقرب من ميناء البحر واغلب أثاثه من حاويات سلع الميناء و صناديق السمك. تتصارع الشخصيات في هذا القبو كل حسب تفكيره المختلف و مستواه المعيشي والمعرفي، فالطالب الغني "وحيد" يحاول الاستهزاء ب "توفيق" الطالب الفقير أمام الفتيات لكسب قلوبهم و خاصة "نيسة" الطالبة الجديدة، و من جهة أخرى يسترجع الفنان "أمين" و المعلمة "حورية" ذكرياتهم وحبهم وتلقي عليه اللوم بأنه أشبعها بالكلام لا غير و ضاعت سنين من حياتهم.

تناول عز الدين عبار باعتباره كاتب النص و مخرج العرض قضايا عديدة خاصة بالفرد وانتماءه و تكوينه في هذا المجتمع (التربية و الأخلاق) ، و كذا مواضيع خاصة بالدولة كالتعليم ، هجرة الأدمغة ، تهيش الفن و الفنانين ، الهجرة الغير شرعية و الظروف المعيشية الصعبة بسبب التفاوت الطبقي وغيرها في 80 دقيقة بقالب كوميدي ساخر.

2.3 الوظيفة الاجتماعية في العملية الاخراجية لمسرحية "بكالوريا":

بعيدا عن علاقة المسرح بالمجتمع ، و المسرح الاجتماعي، و المسرحيات ذات المرجعية الاجتماعية سوف نحاول في هذا البحث معرفة الوظيفة الاجتماعية في الإخراج المسرحي الجزائري من خلال مسرحية "بكالوريا " ل " عز الدين عيار " كنموذج ، و ذلك من خلال البحث عن الوظيفة الاجتماعية لكل عنصر من عناصر الإخراج المسرحي لهذا العرض من ديكور ، ملابس، موسيقى، إضاءة، إكسسوارات ، تمثيل مسرحي، المتلقي والجمهور المستهدف و غيرها من الآليات التي اعتمدها المخرج العباسي (من مدينة سيدي بلعباس) لصناعة هذا العرض الذي تم إنتاجه في المسرح الجهوي لولاية مستغانم سنة 2018 .

اعتمد المخرج في أول وظيفة اجتماعية له في هذا العرض على اختيار ممثلين شباب و فريق إنتاج جيد استوعبوا و فهموا نص مسرحيته وساعده في ضمان اتصال جميع الأجزاء المتحركة و التمثيل المسرحي الجيد على الخشبة و استطاعوا بذلك الحصول على أحسن عرض مسرحي متكامل في الدورة (13) للمهرجان الوطني للمسرح المحترف.

ديكور المسرحية كان بسيطا يتمثل في حاويات سلع و صناديق سمك مستعملة كطاولات للدراسة مكتوب عليها عبارات عديدة (لحوم البرازيل) و(made in France) وكراسي و سبورة و ملابس معلقة في الخلف و أوراق ممزقة في أرضية القبو. خدم هذا الديكور العرض المسرحي رغم بساطته و كان له دور ووظيفة اجتماعية بارزة تتمثل في التعبير عن بساطة حياة الفنان و فقره رغم انه يحتفظ بأزياء الأدوار التي لعبها و حبه لفنه إلا انه مهمش في هذه البلاد، و كذلك تدهور حالة التعليم الذي يجب أن يكون في المرتبة الأولى إلا انه تراجع مع تراجع الأخلاق لدى الفئة الشبانية.

الشكل1: مسرحية "بكالوريا" ل " عز الدين عيار"



المصدر: دار الثقافة تلمسان

اما الملابس و الماكياج فقد كانت عادية شبانية لها وظيفة اجتماعية تتمثل في التعبير عن حب الشباب و الطلاب لتقليد كل ما هو أجنبي و مستورد، و ملابس فنان مسرحي مهتم بأناقته رغم فقره و تعاسته ، و كذلك ملابس "حورية" البيضاء التي توحى بقيمة التعليم في المجتمع رغم شيب شعرها الذي يمثل العنوسة و الكبر .

الشكل2: مسرحية "بكالوريا" ل " عز الدين عيار"



المصدر: دار الثقافة تلمسان

اهتم المخرج بالموسيقى و الإضاءة كثيرا في هذا العرض و كان لها دور رئيسي في التعبير عن الأجواء العامة للمسرحية فقد كانت الإضاءة تارة حادة قاسية و تارة دافئة، وكانت الموسيقى متصاعدة و سريعة أحيانا. تكاملت وتناغمت الموسيقى و الإضاءة لتعزيز الجو العام للمسرحية في المشاهد الدرامية و اللوحات الكوريغرافية و الأغاني المختارة (بين أغاني راب و أغاني شرقية و مقاطع للفنان "كمال مسعودي") ، و كان لهما وظيفة اجتماعية بارزة في التعبير عن الجو المعيشي المليء بالتوتر و القلق خاصة عند الشباب بسبب عدة عوامل : اجتياز امتحان البكالوريا المصيري ، التفكير في الهجرة الغير شرعية ، المشاكل الأسرية ...

الشكل 3: مسرحية "بكالوريا" ل " عز الدين عمار"



المصدر:مجلة الاوراس نيوز ، 2019/01/03

4. خاتمة:

إن معرفة و ممارسة الفنان الجزائري للمسرح حديثا و الظروف التي مر بها هذا الفن لم يكن عائقا أمام المسرحيين الجزائريين في إثبات كفاءتهم الفنية في عروض عالمية وأخرى محلية من مجتمعنا. والمخرج الجزائري بدوره انفتح على المدارس و الاتجاهات الاخراجية المختلفة للمسرح العالمي و أبدع فيها، ثم انتقل إلى التجريب و التأصيل لمسرح جزائري بتقنيات إخراجية و نصوص جزائرية يتفاعل معها المتفرج لأنها مواضيع تعالج القضايا والظروف المعيشة المحلية بقالب فني مسرحي، و قد كانت له عدة مرجعيات ووظائف في العملية الاخراجية كالوظيفة الاجتماعية التي حاولنا معرفتها في هذا البحث من خلال تحليل عرض مسرحية " بكالوريا " ل " عز الدين عيار " .

اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن الإخراج المسرحي له وظيفة اجتماعية بارزة من خلال تنافس و تكامل عناصره الاخراجية في العرض الركحي التي تلعب دور و وظيفة

اجتماعية كل على حدا، فالمخرج وظف كل عنصر في هذا العرض اجتماعيا من : ديكور، ملابس، ماكياج، موسيقى، إضاءة ، رقص ،و غناء لمعالجة قضايا عديدة من المجتمع الجزائري: التعليم، الهجرة الغير شرعية و هجرة الأدمغة، الأخلاق، تهميش الفن و الفنانين، موقعة أم درمان الكروية...التي ساعدت على استهداف فئة كبيرة من الجمهور و هي الفئة الشبانية التي تفاعلت كثيرا مع العرض الذي قدم في وقت و مكان مهمين .

5. الهوامش و المراجع :

- ¹ماري الياس،حنان قصاب ،المعجم المسرحي، مفاهيم و مصطلحات المسرح و فنون العرض لبنان،مكتبة لبنان ناشرون،ط1997،1،ص8
- ²شكري عبد الوهاب، الإخراج المسرحي، دراسة في إبداع الصورة المرئية، ملتقى الفكر، 44 شارع سوبر، الإسكندرية، ط1، ص09
- ³كونراد كارتر: دور المخرج بين مسارح الهواة و المحترفين ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،2006، ص97
- ⁴مجيد صالح بك،تاريخ المسرح عبر العصور، ط1، القاهرة،الدار الثقافية للنشر، 2002، ص23
- ⁵ احمد بيوض،المسرح الجزائري نشأته و تطوره ،الجزائر،دار هومة للطباعة و النشر ، 2011 ، ص33
- ⁶ ادريس قرقوة، الظاهرة المسرحية في الجزائر، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2006،ص72
- ⁷ صالح لمباركية،المسرح في الجزائر-النشأة و الرواد و النصوص حتى 1972، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ،عين امليلة،الجزائر،2005،ص37
- ⁸ احمد بيوض، المسرح الجزائري نشأته و تطوره، مرجع سابق، ص97.
- ⁹عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة،1997،ص60
- ¹⁰كمال الدين حسين: المسرح و التغيير الاجتماعي في مصر، الهيئة المصرية اللبنانية ، ط1، 1992
- ¹¹ ارسطو،فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ،دار الثقافة ببيروت ،لبنان، ص18.
- ¹²زينب محمد زهري، علم الاجتماع المسرح- تقنياته النظرية و المنهجية و العملية، الجمهورية العربية الليبية،مجلس الثقافة العام،2008،ص159

¹³د. محمد عبد الله حسين ، النقطة المتحولة في الإبداع الدرامي في الصعيد، النور للنشر و
التوزيع، ط2018، 5، ص77